موجب لتكثير النفقات ولتكدير راحة البيوت من وجوه شتى. هذا ناهيكَ عن ان جهل الانسان بادوات منزلهِ قد يجلب عليهِ العطب او الخسائر كما في ايقاد مصابيح البترول وسوء معاملة الساعات مثلاً

واما احتياجهُ الى معرفة مبادىء الكيمياء فلأن الجهل بها يورث الاضرار والخسائر. فالذي يجهل ما تاكلهُ الحوامض والقلويات من الاجسام قد يتلفها بوضعها فيها. ولا يأمن المضرَّة مَن يجهل قوة الكحول على التذويب او منافع زيت التربنتينا او فوائد الطلاء وما يتأثر او لا يتأثر هو بهِ من العقاقير وما يقي منها الثياب والاثاث وما يتلفهُ . وما يزيل الطل واللطوخ عن المنسوجات وما يثبتها عليها وما يزهو او تنفض بهِ الالوان الى غير ذلك من لوازم البيت في الغسل والطبخ والتزيين والتأثيث مما يحتاج اليهِ كل احد

واما احتياجهُ الى معرفة مبادىء الفسيولوجيا فلأن الفسيولوجيا تعلمهُ وظائف اعضاء جسدهِ وتدلهُ على ما يقويها وما يضعفها ففائدتها أظهر من ان تُظهَر لحفظ الصحة والعافية ووقاية البدن من الامراض والآفات. نعم ان الانسان قد يتعلم ان حفظ صحتهِ يقوم باستنشاق الهواء النقي وتناول الغذاء الكافي والاعتدال والرياضة على انهُ لا يفهم ذلك حق فهمهِ الاَّ بعد اطلاعهِ على مبادىء هذا العلم . ولا يقال ان في الطبيب غنًى عن تكلف الدرس والتحصيل فكل طبيب يعلم ان علاجهُ انما ينفع اعظم النفع اذا كان عليهِ فهيمًا مميزًا يسعى معهُ الى الشفاء المطلوب . ولما كان علم الفسيولوجيا لا يدرك حق الادراك الاَّ بعد درس الفلسفة الطبيعية والكيمياء فلزومهُ للناس يزيدها لزومًا ايضًا

هذا قليل من كثير من فوائد العلوم التي نحن بصددها وقد اقتصرنا عليهِ لعلمنا انهُ يفي بالغرض وهو اظهار لزوم هذه العلوم لكل امَّة تبغي التقدُّم وتحسين حال المعيشة والمسابقة في ميادين الحياة . ولما كان تعليم هذه العلوم متوقفًا على المدارس فلا ريب ان المدارس التي تتغاضى عنها او التي لا تفيها حقها من التعليم هي قاصرة عن القيام بما يطلب منها مهملة لغاية من اسمى الغايات ولو طالت دعاويها وعرضت وتزخرفت مبانيها وفخمت

حال الأَرامل في الهند

وممَّا يؤدّيني الى الصبر والعزا تردُّدُ فكري في عموم المصائب

يضرب الناس الامثال في حبّ نساء الهند لازواجهنَّ وطاعتهنَّ لاوامر ديانتهنَّ فانهنَّ

يعفنَ الحياة بعدهم فيفارقنَ الاحبَّة والديار عن طيب نفس ويجملنَ حريق النار اسراعًا الى الرمس تعلقًا على ما يقال بازواجهنَّ وحبًّا بصحبتهم في النعيم ان كانوا من الصالحين او التكفير عن آثامهم ان كانوا من الطالحين . ولطالما حرنا في امر هؤلاء النساء وتفرُّدهنَّ بين نساء الارض بحبِّ ازواجهنَّ هذا الحب العظيم والتمسُّك باوامر ديانتهنَّ هذا التمسُّك الشديد. فان حبَّ الحياة اقوى من حبِّ الازواج والخوف من الموت اشدُّ من الشوق الى النعيم في الغالب ولاسيما اذا كان الناس كاكثر الوثنيين من الهنود جهَّالاً في امر آخرتهم كثار الاوهام والخرافات قلال الاهتمام في الآخرة شداد التمسُّك بحطام الدنيا . فالناس يؤثرون الحياة على الموت ولو علموا ان الحياة مجبولة بالاتعاب والاوصاب وان الموت ياتيهم هينًا فيريحهم من العذاب والآلام والاحزان فما قولك في نساء الهند اللواتي يؤثرنَ الموت حرقًا مع علمهنَّ بآلام النار . فلو كان الباعث لهنَّ على ذلك مجرَّد الحب لازواجهنَّ او الطاعة لدينهنَّ لكان انقيادهنَّ اليه من النوادر التي تحار العقول في تعليلها والخوارق التي لا يعهد في غير الهند نظيرها. والظاهر ما وقفنا عليه حديثًا من كتابات الهنود انفسهم في كتب الافرنج وجرائدهم ان الهنديَّات يحببنَ الحياة كسائر خلق الله وانما يخترنَ الموت بعد فقد ازواجهن تخلُّصًا في الغالب مما يحيق بهنَّ من الضنك والعذاب والذل والخسف كما سيظهر جليًّا

من المشهور ان الهنود الوثنيين يحرقون جثث موتاهم ويذرُّون رمادها ويلقون بقاياها في نهر الكنك المعدود عندهم نهرًا مقدسًا . وكانت عادتهم ان يحرقوا نساء الموتى مع جثثهم اذا اردنَ الحريق . ولعلَّ اصل عادتهم هذه ما ورد في كتبهم الدينيَّة وهو "ويحسن بالزوجة ان تلقي نفسها على الحطب المعدّ لاحراق جثة زوجها" فكانوا اذا وضعوا الجثة على الحطب تتقدَّم الزوجة مبرقعةً فيميط البراهمة (الكهَّان) برقعها وتنزع حلاها وزينتها عنها وتوزعها على اقاربها وذويها ثم تتلقَّى ضفائرها ويأخذ كبير البراهمة بيمناها ويدور بها حول الحطب ثلثًا ثم ترقى على الحطب فترفع رجلي زوجها الى جبهتها اشارةً الى خضوعها له وتحول فتجلس عند راسه واضعةً يدها اليمنى عليه فيضرمون النار ويحرقونها مع جثة زوجها وهم يزعمون ان ذلك يورثها النعيم مع زوجها فتنعم معه في السماء خمسةً وثلثين مليون سنة وهي عدد الشعر في جسد الانسان. وانها تطهِّر بموتها هذا اهل امها واهل ابيها واهل زوجها وتطهِّر زوجها ايضًا من كل ذنوبه ولو كان قد قتل في حياته صديقًا حميمًا او برهميًّا (كاهنًا) نقيًّا وتصير من اطهر النساء واشرفهنَّ اسمًا واحصنهنَّ صيتًا . وشاعت هذه العادة عندهم شيوعًا عظيمًا حتى احرقوا نحو ستة آلاف امرأة في عشر سنين من ١٨١٥ الى ١٨٢٥ . ذلك كله والانكليز يخشون ان يتصدُّوا لهم حتى رسخت في البلاد قدمهم

ورأوا ان هذه العادة الفظيعة قد تفاقم خطبها فالغوها من ولاية بنغالا سنة ١٨٢٩ ومن غيرها من ولايات الهند سنة ١٨٣٠ ولم يبقَ لها اثر الاَّ حيث تجري تحت طيّ الخفاء او حيث لا سطوة للانكليز ولا اقتدار

غير ان الغاءها انما خفف عذاب ارامل الهنود ظاهرًا فلم تزل العوائد هنالك على ما كانت عليهِ من تشديد الكُرَب وتعظيم البؤس والشقاء على الارامل . فاذا صدق الكتبة فالهنود يرون الذلّ والضنك لارامليهنّ شريعةً والابتعاد عن العز والراحة طبيعةً . وحجتهم في ذلك نصٌّ ورد في كتابة مشترعهم مانو قبل المسيح بخمسماية سنةٍ حيث قال "والزوجة يجب ان تذلّل جسدها بالاقتصار على اكل الجذور والازهار والاثمار وان لا تتلفظ باسم رجلٍ بعد موت سيدها وان تغضي عن كل سيئةٍ تصيبها وان تعمل اشقّ الاعمال وتجتنب كل ملذةٍ من ملذات الجسد وتمارس الفضائل التي يمارسها اللواتي لا يقترنَّ الاَّ ببعل واحد . فكل امرأةٍ فاضلة تعيش بالزهد والتقوى تصعد الى السماء وكل امرأةٍ تسنهين بزوجها فتقترن بغيرهِ بعد موتهِ فما تصيبها الاَّ الذل والهوان في الدنيا والطرد من عرش سيّدها في الآخرة"

هذا ومعلوم ان الناس قلما يقفون على حدٍّ من حدود المنافي والاحكام فاما ان يجاوزوها بافراطٍ فيزيدوا عليها او يقتصروا عنها بتفريط فينقصوا منها ولاسيما اذا وجدوا مسوّغًا لامرٍ من الامرين . وشريعة مانو هذه مع ما بها من الصرامة والتشديد على الارامل قابلةٌ لاكثر من ذلك واشدّ . وهذا عين ما جرى في الهند فانهم حرّموا الزواج على كل ارملة كبيرةً كانت او صغيرةً عملاً بنص شريعتهم . وقد عدّوا العذارى المخطوبات كالمتزوجات في ذلك فاذا مات خاطبوهنَّ قبل الاقتران بهنّ حُرّم الزواج عليهنّ . وهم يزوجون بنيهم وبناتهم صغارًا كغيرهم من المشارقة بل زادوا على غيرهم فيزوجون اولادهم قبل بلوغ عشر سنوات من العمر ويتركون بناتهم بعد موت ازواجهن فتيات صغيرات عرضةً للتجارب والويلات

وكأنهم رأوا ان ذلك قليلٌ على بناتهم فاستنبط كهانهم عذاباتٍ شتى لهنّ اخفها في ولاية بنغالا حيث قد تلطّفت عوائد الهنود كثيرًا واشدّها في الولايات الشمالية الغربية حيث لم تتلطف العوائد الاَّ قليلاً . ففي بنغالا تقيم الارملة مناحة زوجها عشرة ايام ان كانت من بنات البراهمة وشهرًا ان كانت من غيرهم . فتاكل في اثنائها اكلةً واحدة فقط في اليوم وتهيّئ طعامها بيدها ولو كانت من بنات الملوك وتقتصر على الرز المسلوق والسمن والحليب وبسط الخُضَر اذ اللحم والسمك والبيض وسائر المآكل الطيبة محرّمة عليها . ويحرّم عليها ايضًا تسريح شعرها والتطيّب بالاطياب ولبس الشغوف او ما سوى القطن البسيط . ويبقى لباسها عليها ذلك الشهر كله قذرًا كان او

نظيفًا ناشفًا او مبتلًا وتنام على الارض او على بساط خشن وتغتسل كل يوم ولا تنشف رأسها وتبالغ في تعذيب جسدها ما استطاعت اعتقادًا بان نعيم زوجها يزيد بزيادة تقشفها

وبعد انقضاء شهر المناحة يُباح لها ان تأكل ما يطبخهُ غيرها من الاطعمة البسيطة وان تبدل ثوبها باثواب من القطن البسيط واما لبس الشنوف والتحلّي بالحلى والتطيب بالاطياب فلا تحلّ لها وكذلك الحضور في عرس او وليمة او عيد او مشهد من المشاهد . فاذا حدث في بيتها عرسٌ امتنعت عن مس شيء من الاشياء المعدَّة له وعن التداخل بامرٍ من اموره بل قد يُعَدُّ لمسها لشيء من تلك الاشياء تنجيسًا له ولو كان العريس اخاها او ابنها او لو كانت العروس اختها او ابنتها. واذا عيّد ذووها عيدًا فكلهم يخرجون ليشهدوا الاحتفال او ليتنزهوا في الفياض وتبقى في ملازمة البيت . واذا عادوا واقاموا الافراح في بيتهم نُحّيت عنهم كأنهُ لم يبقَ لها في الحياة نصيبٌ من اللذة والسعادة . وكل ارملة تصوم يومين تنقطع فيهما عن الطعام والشراب انقطاعًا كاملًا يومًا في اول كل شهر ويومًا في وسطهِ . وصوم هذين اليومين واجب على الارملة ولو كانت على شفا الموت مرضًا او ضعفًا وعجزًا فكثيرًا ما يحدث ان الابنة تقضي نحبها وهي تطلب من امها ان تغيثها بشربة ماء والام تمسك الماء عنها ومرارتها تنفطر حزنًا عليها . او ان الأم العجوز تسلم الروح وهي تنادي اولادها ان يطعموا نيران فؤادها بكاس ماء وهم يبكون ويضجّون بالماء عليها لا بغضًا بل خوفًا من هلاكهم وهلاكها لاعتقادهم ان كل من يسقي ارملةً في يوم صومها يهلك ويهلكها معهُ الى الأبد

هذا في بنغالا واما في غيرها من الولايات الشمالية الغربية فالارامل يكنَّ في ضنك اشدّ وكلما علا مقامهنَّ بين قومهنَّ قبل ترملهنَّ زاد احتقارهنَّ وامتهانهنَّ بعدهُ . فالعادة عندهم انهُ حين يموت الرجل تبعَد امراتهُ عن اهلها واقاربها واصدقائها كأنها جنت ذنبًا كبيرًا فصار الدنو منها يدنّس الداني . ثم يرسلون اليها نساء الحلاّقين لينزعنَ عنها زينتها وحلاها فيهجمنَ عليها هجومًا عنيفًا اظهارًا للاسف والأسى ويخلطنَ الأقراط من اذنيها وانفها ويمعطنَ شعر رأسها لنزع ما يكون فيهِ من الحلى ولا يمهلن لنزع اساورها من يديها بل يدققنها بالحجارة حتى يكسّرنها ويهشمنَ يديها تهشيمًا . كلُّ ذلك وهي قد لا تجاوز سبع سنين من العمر فلا تدري ما الزيجة ولا ما الترمّل

وعند تشييع الجنازة يسير اصحابها رجالًا ونساء ماشين وراءها ويكون الرجال وراءها نوًّا والنساء وراءهم ثم الارملة على مسافة وراءهن وامامها نساء المزينين يصرخنَ ويولولنَ ليعرّفنَ الجمع انها ارملة الميت فيحذروا قربها وتبقى طول الطريق صامتة لا تشتكي مضض البلوى خوفًا من ان تضاعف لها الاهانات . ومتى بلغوا حافة النهر او الحوض الذي يحرق الميت عندهُ يهجم نساء الحلاّقين عليها ويلقينها في الماء بثوبها فتمكث مغموسةً فيهِ ساعاتٍ حتى ينتهوا من

احراق الجثة والاغتسال وينصرف كلٌّ منهم الى منزله . ثم يخرجها ويسرن بها والماء يقطر من ثوبها حتى تأتي الى بيتها ولا يستثنى من ذلك ارملة عجوزًا كانت او صبيةً مريضةً او صحيحة ولهذا كثيرًا ما تموت على الطريق فتستريح من مشاق الحياة

وبعد وصولها الى بيتها تاوي الى زاوية فيه فتجلس على الارض بثيابها المبللة بلا فراش تحتها ولا دثار فوقها وتقضي ثلثة عشر يومًا على هذه الحالة بلا مسلٍّ ولا معزٍّ الاَّ امرأة من نساء الحلاقين تقيم معها بالاجرة فاذا أُحسنت لها الاجرة احسنت اليها والاَّ اساءت لتزيد همومها غمًّا . واما اهلها فيعتزلون عنها تمام الاعتزال واذا اتفق ان احدهم عثر بها اكثر لها من الشتائم والاهانات لتجعل حياتها بالاحزان والغموم ويكدّر كاس عيشها بانواع المصائب والغموم . وعند انقضاء الثلثة عشر يومًا تبدل الثياب التي غطّست بها في الماء بثياب من القطن البسيط وياتي البراهمة ونساء الحلاّقين فيحلقون شعرها ويستوفون اجرتهم منها وتبقى كذلك الى ان تنقضي ستة اسابيع فتعود الى لبس الثوب الاوّل المشار اليه ولا يحلّ لها خلعهُ بعد ذلك الاَّ اذا حجّت الى نهر الكنك واغتسلت بمائهِ فتبدله بالملابس القطنية البسيطة . وتقضي كل ايام ترمُّلها على اكلةٍ واحدة بسيطة في اليوم وتصوم يومين في الشهر كما تقدم

وبعد مرور سنة من موت زوجها يعاد لها بعض زينتها اذا كان ابويها حيين وكانا يحنّان عليها طبعًا . واما اذا كانا ميتين فاقامت في بيت زوجها فلا تلقى الاَّ وجهًا عبوسًا ومعاملةً سيئة من حماتها وبنات حميها جزاء الاعمال الشاقة التي تكون نصيبها طول عمرها . ومن عادة الهنود ان الانثى لا ترث فاذا مات رجل عن امرأتهِ وكان لها ولد ذكر فهو يرث اباهُ والاَّ التزمت ان تتبنّى ابنًا يرث زوجها وهو يهبها ما تسدُّ بهِ رمقها . ومن عادتهم ايضًا انهُ اذا مانت المرأة في حياة زوجها حرقوها بما يكون عليها من الثياب واختفلوا بحرقها واما اذا ماتت ارملة فينزعون ثيابها عنها ويغطونها بملاءة بيضاء خشنة ثم يحرقونها بلا احتفال او باحتفال قليل

قالت احداهنَّ تشتكي سوء حالهنَّ . ما جنينا على العالم وما ذنبنا عند اهلينا حتى اوجبوا علينا هذا البلاء العظيم الذي لا يحتمله طبع انسان وما انزل الله بهِ من سلطان . فاللواتي يمتن منّا الوف واللواتي يصرن ارامل عشرات الالوف وكلنا نعذب عذابًا اليمًا . كان لي ابنة عم فمات زوجها وهي تُقلى على نيران الحمّى وتتقلّب على فراش السقام والآلام فطرحوها عن فراشها الى الارض وهي غائبة عن الوجود ولما رأت حماتها انها لا تستطيع حراكًا لتجرَّ في جنازة زوجها نادت السقّاء فافرغ عليها اربع قرب من الماء البارد فقضت عليها واشاعت بين الاقارب والاباعد انها ماتت حبًّا بزوجها . وكنت اعرف امرأة تبغض زوجها ويبغضها ولكثرة مخاصمتها معًا لم يطيقا

الاقامة في بيت واحد فتفارقا وهجرها وهجرته على علم من المعارف والجيران جميعًا. ثم مات قبلها خبر موته وهي على السطح فالقت بنفسها الى الاسفل وماتت فرارًا مما يلحقها بعدهُ من الذلّ والعذاب فمدح الجميع صنيعها واستعظموا فضلها واشاعوا انها قتلت نفسها حبًّا بزوجها. وامثال ذلك عندي لا تحصى

ان الانكليز الغوا عادتنا القديمة وهي احراق المرأة حيَّةً مع جثة زوجها فخلّصونا من عذاب أليم. على ان عذابنا كان حينئذٍ قصير المدّة واما الآن فاننا نموت كل يوم ونعذّب الحياة بطولها ولا يدري الاَّ الله ما يحيق بنا من اسباب الغم والذل والكدر والعذاب عند قومنا الذين لا يبالون بامرنا بل يعدّون قصيدنا صالحًا ويحسبون عذابنا اجرًا عظيمًا. انتهى

فالذي يتدبّر حال الأرامل في الهند لا يعجب من اقدامهنّ على الموت حرقًا وتفضيلهنّ عذاب ساعةٍ على عذاب العمر ولاسيما اذا كان احراقهنّ يتكفّل لهنّ بلذات النعيم والتمتع بالسعادة مع ازواجهنّ وتطهير اقاربهنّ من دَنَس الآثام واوضار الذنوب والصفح عن ذنوب ازواجهنّ كما هو اعتقادهنّ. ويعود عليهنّ وعلى ذويهنّ بالمجد الاثيل والفخر العظيم والذكر الطيب والصيت البعيد كما هو المعتاد عند قومهنّ

اصل اللغات ونموها

النبذة السادسة - في تقسيم اللغات

اوضحنا في ما تقدّم من النبذ ان اللهجة اذا بَعُدَت عن الاصل الذي اشتقّت منهُ صارت لغة قائمة بنفسها ومثّلنا على ذلك باللغتين الاسوجيَّة والانكليزية اللتين اشتقتا من اللغة الجرمانية القديمة وباللغتين الفرنسوية والايطالية اللتين اشتقّتا من اللغة اللاتينيَّة. والآن نقول انهُ على هذا النمط اشتقّت لغات البشر بعضها من بعض وكثر عديدها. وحيث ان البشر من اصل واحد فالارجح ان لغاتهم التي ينطقون بها الآن مشتقَّةٌ اصلاً من لغة واحدة. هذا هو راي الجمهور ولكنّ الذين بحثوا البحث المدقق في علم اللغات لم يقدروا ان يثبتوا هذا الراي بالادلة العلميَّة حتى الآن ولذلك تراهم يكتفون بردّ اللغات المعروفة الى طوائف قليلة العدد والبحث عن كل طائفة بمفردها وهذا ما اردنا بيانهُ بالايجاز في هذه النبذة

نُقسّم لغات البشر المعروفة الى سبع طوائف وهي السامية والآرية والطورانية والملقية والحامية والزنجية والاميركية ولكل طائفة فروع كثيرة كما سترى